

إرتصال بحفلات التطور العلمي العالمي

يستلزم

اتقان لغة أجنبية بجانب اللغة العربية

الدكتور منذر الرقاق

رئيس شعبة الامراض الداخلية في مستشفى دمشق
وعضو المجمع الأمريكي لامراض جهاز الهضم

واذا ما اردنا دراسة الانتاج العلمي باشكاله في العالم وجدنا ان جلّه يظهر بلغة انكليزية في كثير من البلدان المتعصبة لقوميتها وبلادها كالهند واليابان ، والسبب في ذلك ان اللغة الانكليزية تسمح في عصرنا الحاضر بنشر وتعميم التطورات العلمية في ارجاء المعمور كلها .

ان قوميتنا العربية تقضي بالتطور السريع والتقدم الدائم وليس من واسطة علمية عملية تسمح لنا بتحقيق هذه الامنية في العصر الحاضر ، اذ انه فضلا عن عدم وجود انتاج علمي اساسي في العلوم لدى العرب فان علماء العالم قل ان يدركوا التطورات العلمية لبلد ما ان لم يتوفر لهم التعرف اليها بواسطة المجلات العلمية العديدة ..

الكتب العلمية

وفي شتى العلوم ، وخاصة في الطب ، فسان الكتب التي تطبع في اللغات الاتلمية المحلية قليل وهذا ما يخفف من عدد الطبقات التي تحمل في تكرارها اشكال التطور والتجدد على مر الزمن ولهذا تتباين الكتب العلمية مع عجلة التطور وتبقى متخلفة عن اللحاق بالركب العالمي .. ومن المنطق ان لا تستطيع هذه الكتب العلمية الصادرة بلغة اقلية تجدّد طبعها في كل عام لان استهلاكها محدود طالما ان عالمها صغير فضلا عن ان اكثر هذه الكتب العلمية (وعلى الاخص في بلادنا العربية) مترجمة .. وطالما ان الابداع الشخصي في الانتاج العلمي محدود ..

الوجه الخاص لعالمنا العلمي ..

واذا احببنا ان نتجرد عن عواطفنا وان نواجه الواقع المؤلم فلا بد لنا ان نذكر ان عالمنا العلمي

عندما نتاقش مبدا اختيار اللغة المفضلة في تدريس العلوم في بلادنا العربية فاننا نرغب ونسعى وراء ادراك كافة اوجه التطور العلمي العديدة التي تعم العالم والتي تعود علينا بالخير والمجد .

وفي هذه المرحلة التاريخية الحاسمة من علامات البشرية - وقد امتازت بسرعة التبادل العلمي واشتداد الاحتكاك الاجتماعي نتيجة تطور وسائل النقل في العالم - يجب ان لا نتردد في الاعتراف بان لغتنا العربية هي اكثر بطئا من اللغات العلمية العالمية في نقل اشكال هذا التطور العلمي في ارجاء المعمور .

فاللغة صلة الوصل في نشر العلم

وقد تعددت المؤتمرات العلمية في شتى الاختصاصات في السنين العشر الاخيرة وكانت اللغة الانكليزية في جل هذه المؤتمرات هي صلة الوصل الاولى بين مختلف العلماء من مختلف البلدان وتأتي بعدها الامرنية ثم الاسبانية فالالمانية الخ ..

وتبادل اشكال التطور بين مختلف شعوب الارض يتم بشكل سريع اذا ما جمعت لغة عالمية واحدة وسائل التعبير لدى رجال العلم واللغة العملية التي تسيطر على وسائل التعبير لدى العلماء في العالم هي الانكليزية في الوقت الحاضر .

هذا هو واقع اساسي لا يمكن تجاهله او تناسيه فالذي يشترك في المؤتمرات العلمية العالمية يدرك تماما ان اللغة الانكليزية النصيب الاوفر والاول في المناقشات العلمية كانت اساسية ام فرعية .

الالكترونية التي تستعملها الولايات المتحدة الامريكية في مستشفياتها العلمية هي أجهزة من صنع ياباني ، وعلى الرغم من وجود عالم طبي وعلمي قائم بذاته في بلاد الشمس فان الاطباء والعلماء يستخدمون اللغة الانكليزية في شرح وتدريس الاشكال العالية من انتاجهم العلمي لانهم يؤمنون بأن هذه اللغة تكتل سرعة الاتصال مع العالم الخارجي وسهولة النشر في الحفقات العلمية العالمية .

ان القومية السلبية هي التي تتضي بالتطور والوطنية الصحيحة هي التي تساعد على اظهار وتوسيع وتطوير كل انتاج علمي لا خفته وقتله لاعتبارات ذاتية زائلة .. وهذا ما يوضح لنا انسجام شعب كالشعب الياباني مع هذا الواقع العلمي متخطيا كثيرا قيود القومية وشروط الوطنية الضيقة ... فاستعمل اللغة اليابانية في بلده في حدود لا تؤذي تطوره وابداعه ... ومن الضروري للبلاد العربية ان تعود الى نفس الطريقة فلا تكتفي باستعمال اللغة العربية في مجال نشاطاتها العلمية بل تجعل لاحدى اللغات الاجنبية المكان الاول الى جانب اللغة العربية وهذه هي الطريقة الوحيدة التي لا تخفى عن العالم ما نحمله من تطور وابداع في حقل العلم ، وحتى يستقر لنا عالم علمي لانفسنا لابد لنا ان نرتبط بهذه القيود .

الشكل المفضل لتدريس العلوم

ولسنا ندعو الى تدريس العلوم باللغة الاجنبية الا انه من الضروري على الاقل ان يتم تدريس النصف تقريبا باللغة الاجنبية والنصف الآخر باللغة العربية وهو ما يسمح للطلاب بعدم الابتعاد عن المجرى العلمي السائر في العالم طالما ان اللغة العربية لا تحمل اليه تطورات العلم في كائنة اشكالها وفي اوقاتها اللازمة .. اما اللجوء الى الترجمة فهذا حل وسط ضعيف له محذوران : المحذور الاول انه يصعب على الترجمة في أكثر الاحيان ملاحقة تواتر التطور بشكل متناسب ، والمحذور الثاني ان الترجمة تضعف في كثير من الاحيان النص الاصلي ان لم تشوهه على نحو ما نسرى في كثير من الكتب العلمية العربية المتداولة ، ولست ارى أهمية لاختيار التعابير الطبية الصحيحة باللغة العربية لانني مقتنع بان هذا ممكن وان هذا لا يحول دون الترجمة وبالتالي دون التدريس باللغة العربية .

محدود وان وسائل الابتكار العلمي لا تعرف التشجيع ان وجدت ، لاننا لا نحسن تقديرها اولا ولان خلقنا وخلقنا لم يتعدوا بعد على دفع العالم المبدع الى الامهل ما زلنا نعمل على وضع العثرات كافة في وجهه تحول دون كل ما يقدم لنا - نسخر منه حيــــــــــــن يحترمه العالم ونسعى وراء ابعاده لقتل ابداعه ..

تلك ظاهرة هامة جدا في حياتنا العلمية يشعر بها العلماء في بلادنا العربية .. ولهذا وجدنا ان عددا كبيرا منهم قد لجأ الى بلاد اجنبية ليتابع ابحاثه ودراسته بعد ان لقي الترحيب والتكريم وقد نبذه وطنه وحاربه.

ولا ادل على ذلك من أن طبيبا عربيا قد الف كتابا عليا تعرض لكثير من النقد والتقريظ .. وان السلطات العلمية والثقافية في جل البلاد العربية قد طلبت هذا الكتاب وعممته على مكاتبها باستثناء وطن الكاتب الذي تجاهل الكتاب كل التجاهل رغم تقديمه الكتاب عدة مرات للبحث والدراسة .

اننا في الوقت الذي نرجو فيه ان تتطور عاداتنا ونسبو اخلاقتنا ونبش لكل نشاط علمي فعال ، لابد ان نتساءل هل من الاجدى ان تقدم انتاجنا العلمي باللغة العربية ام بلغة اجنبية ؟

كيف يتم التعريف بالانتاج العلمي ؟

اظن انه من الضروري ان نعرف العالم بانتاجنا بواسطة اتصر الطرق ، واستعمال اللغة العربية في هذا الانتاج يؤخر كثيرا في هذا التعريف وسيبقى العالم بعيدا عن ادراك اي تطور يمكن ان تقدمه في حقل العلم طالما انه لم يطلع عليه ، ولهذا لابد من اللجوء الى وسيلة تسمح للعالم العلمي ان يقرأ انتاجنا بلغات يستعملها غالبا ، ولنا في اليابان البلد الآسيوي الذي تضارع حضارته ومدنيته البلدان الأوروبية كافة خير مثال ، اذ انه بالاضافة الى استخدامه اللغة اليابانية في بلاده في نشر معارفه ومخترعاته وانتاجه العلمي ، نرى انه يسخر اللغة الانكليزية في كل المجالات لتعريف العالم بتطوره العظيم وقد تم له ذلك بوضوح في السنين العشر الأخيرة واعتقد انه لو اكنى باستعمال اللغة اليابانية في شرح انتاجه وكشوفه لبقى بعيدا جدا عن العالم ولما حظي بهذا الاجلال العظيم الذي يكتسه العلماء في هذا العصر للتقدم الفني الهائل والتطور العلمي العجيب اللذين قدمتهما اليابان الى مدينتنا الحاضرة ، ويكفي ان نعرف ان نصف الاجهزة

دور اللغة في انتشار المعرفة العلمية

ان هذا الواقع الذي نعيش فيه والذي نشعر به كل يوم يبرهن تماما على ان استعمال اللغة الانكليزية في الدراسات العلمية في وقتنا الحاضر اجدى بكثير من استعمال اية لغة اخرى لانها الوساطة التي تنقل الى العالم بعض النشاط المتواضع في المجال الطبي العلمي الخاص ببلدنا العربي وهو ما لم يكن متوفرا في السابق ، ولو اكتفينا باستعمال اللغة العربية فقط في التدريس ونشر المعرفة العلمية لما تم هذا التعريف بنشاطنا العلمي على صعيد عالمي واسع .

خاتمة ونتيجة

هذا هو الواقع الاجتماعي لمشكلة علمية اساسية تصادفنا طوال مراحل تطورها ومن الضروري ان نجد لها حلا واضحا يتناسب مع حاجياتنا ويحافظ على قومييتنا.ولسنا ندعو البتة الى طرح اللغة العربية جانبا وتبني لغة اجنبية في تدريس العلوم في جامعاتنا ومعاهدنا .. الا اننا ندعو الى الضرورة القصوى لاشراك لغة اجنبية — ونفضل اللغة الانكليزية في الوقت الحاضر — في تدريس العلوم ، فيعمد الاساتذة الى انتقاء ما لا يقل عن مادتين من اصل البرنامج تتغيران بتغير العام ، تدرسان باللغة الاجنبية ويسأل الطالب عنها في آخر العام وهو بهذا الاسلوب مضطر الى اتقان الدراسة باللغة الانكليزية الى جانب متابعتها للعلوم في اللغة العربية فيكون قد حظي بمعرفتين وهذا اول الطريق للاتصال بحلقات التطور العلمي في العالم .

وكاوضح مثال على دور اللغة ونوعية اللغة في نشر العلم والمعرفة هو ما اكتسبه كاتب هذه الاسطر من خبرة في الموضوع .. فلقد اعتاد تسجيل ودراسة الحوادث العلمية التي يصادفها في ممارسة الطب منذ اكثر من عشر سنوات ، وهي صفة ملازمة لكثير من اطباء المستشفيات في العالم .. وتقدم هذه الدراسات في مواضيع وابحاث ومحاضرات في الندوات والمؤتمرات والمجلات الطبية في الشرق الاوسط واوربا والولايات المتحدة باللغة العربية والفرنسية والانكليزية وتطبع هذه الدراسات وتنتشر باحدى هذه اللغات الثلاث ..

ومن تقاليد الاوساط العلمية في العالم ان تطلب نسخة من الابحاث الطبية المنشورة التي تجد فيها أهمية خاصة .. ولهذا فهو يتعلق دائما بطاقات خاصة من دول عديدة في العالم تطلب فيها نسخة من البحث المنشور ومن الطريف جدا ان يذكر انه لم يتلق اي طلب لاي بحث تم نشره باللغة العربية وانه تلقى ما لا يتقص عن خمس طلبات لكل بحث نشر باللغة الفرنسية في حين يتلقى عشرات الطلبات واحيانا المئات منها لكل بحث نشر باللغة الانكليزية وهذه الطلبات تصدر عن بلاد عديدة تقع في القارات الخمس من استراليا الى اقاصي امريكا الجنوبية مارة بآسيا وافريقيا واوروبا .. ومن بلاد لا تتكلم احيانا الانكليزية ومثل ان تستعملها في حياتها الخاصة .